السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: دور جماعات الضغط ومجموعات المصالح الخاصة

US Foreign Policy in the Middle East: The Role of Lobbies and Special Interest Groups

عبد الغني حجاب

جامعة محمد بوضياف، المسيلة، abdelghanie.hadjab@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/01/31 تاريخ القبول: 2024/04/02 تاريخ النشر: 2024/06/20

ملخص:

إن جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل تقوم بدور لا يمكن وصفه بالمهم بل بالعملاق، فهي تشكل مجموعة للتفكير ولدعم إسرائيل بهدف أساسي، مؤداه شرح الدور الذي ينبغي على هذه الأخيرة أن تلعبه في الصياغة الجيواستراتيجية للشرق الأوسط للإدارة الأمريكية وهذا ما سيتم التأكد منه عبر التطرق إلى ماهية هذه الجماعات الداعمة لإسرائيل وخلفيات نفوذها، ومن ثم دراسة شبكة العلاقات التي تربطها بفواعل مؤثرة في السياسة الخارجية الأمريكية، مع تحليل لمدى الترابط الوظيفي الموجود بين التيارات السياسية والدينية الداعمة لإسرائيل.

كلمات مفتاحية: جماعات الضغط؛ السياسة الخارجية الأمريكية؛ صناعة القرار؛ اللوبي الإسرائيلي.

Abstract:

The lobbies supporting Israel play a gigantic role. The current paper deals with the nature of these groups that support Israel, the backgrounds of their influence, and the network of relationships that connect them with influential actors in American foreign policy, with an analysis of the extent of functional interconnection that exists between the political and religious movements that support Israel.

Keywords: Decision-Making; US foreign policy; Pressure Groups; The Israeli lobby

1.مقدمة:

الواضح أن اليهود، كجماعة وظيفية، يمتلكون أقوى جماعات الضغط الأمريكية، وأكثرها تنظيما وانتشارا، وأعمقها صلة بصناع القرار في الإدارة ووزارة الدفاع والأجهزة الأمنية المختلفة، كما في مراكز الأبحاث المعتبرة، وأن لهم وجود فاعل في الجامعات وأجهزة الإعلام، ولا أحاول هنا تسميتها باللوبي اليهودي، لأن هذا سوف يثير الغالبية من اليهود الأمريكيين الذين قد لا يؤيدون أهداف جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل، على الرغم من أن الدور الأمريكي الكبير في المرحلة الراهنة من العلاقات الدولية، يوجب تبيان موقعها في السياسة الخارجية الأمريكية، لأن في ذلك ما يساعد في توضيح الرؤية.

تحديد الموضوع

يعد طرح موضوع اللوبي الإسرائيلي المؤثر في صنع القرار الأمريكي من أكبر الموضوعات التي ظلت –وما تزال– بحاجة على مزيد من البحث العلمي الواقعي لطروحاتها، ونقصد بالطرح العلمي الواقعي مجموع الميكانيزمات أو الآليات التي تؤدي في مجموعها إلى تحقيق التحليل الأكاديمي الموضوعي المتميز بالدقة، الموضوعية والحياد.

وعليه فإن التعمق في دراسة هذا الموضوع تعد رهانا يجب الوصول إليه وتوضيحه، لأنه كفيل بتفسير السياسة الخارجية الأمريكية، وتحليل واستقراء القرار الأمريكي من خلال جملة من العناصر، التي يمكن بواسطتها دراسة البناء القيمي في النسق الأمريكي، وتحديد تأثيرها في الدوائر والأطر المؤثرة في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية وصناعة قراراتها.

إشكالية البحث

وعلى الرغم من أن موضوع الدراسة –على المستوى الظاهري– سوف يركز على عناصر الشبكة غير الرسمية من جميع الجوانب، إلا أنه في حقيقة الأمر سيركز أكثر على الأدوار التي تلعبها هذه الشبكات وآثارها، بشكل محدد وذلك تماشيا مع الخطة، وضبطا للحدود التي يمكن أن يتطلبها الموضوع، وعليه فإن الإشكال العام للدراسة يمكن التعبير عنه كما يلي: إلى أي مدى يمكن التأكيد على أن القرار الأمريكي هو نتاج شبكات غير رسمية، تعمل خارج الأطر الرسمية؟، وإلى أي حد يمكن التدليل بأن لهذه الشبكات تأثير عميق في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية؟.

مناهج البحث

لعل البحث في موضوع شبكات اللوبي الإسرائيلي، يستدعي الاعتماد على مجموعة من المناهج العلمية، التي تعينه على تفكيك المادة العلمية ودراستها، على ضوء المتغيرات التي تعترض الباحث خلال عملية البحث، ويمكن ملاحظة أن الدراسة استعانت بمناهج متنوعة منها: المنهج التاريخي، المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي. خاصة الأخير والذي يشتمل على الاستنتاج العلمي القائم على الملاحظة من العام إلى الخاص، بحيث يقوم على استقراء لكل جزئيات موضوع البحث، على اعتبارها ظواهر يتم دراستها بانتقال التحليل من الحكم الجزئي عليها، إلى حكم كلي يتناول كل ظواهر الدراسة.

العناصر الأساسية

بناءا على ما سبق، سيتم التطرق في هذا المقال للنقاط التالية:

أولا: ماهية جماعات الضغط وخلفيات نفوذها

ثانيا: علاقة شبكة الدعم المؤثرة في السياسة الخارجية الأمريكية

ثالثا: مكانة الترابط الوظيفي بين التيارات الدينية الداعمة لإسرائيل

1. ماهية جماعات الضغط وخلفيات نفوذها

يتألف سكان الولايات المتحدة من شعب متعدد الأعراق ممسوك من "المركز إلى الأطراف" من أغلبية أنجلوساكسونية، تمكنت من ضبط توجهاته، وبواسطة إسهام مميِّز لمؤسسات إعلامية تقولب سلوك أفراده وفق معايير هذه الأغلبية وقوانينها، وقد كانت جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل جزءا حيويا من هذه المنظومة التي تمارس دورا متصاعد النفوذ.

إن إسرائيل "دولة وظيفية بامتياز"، والمؤمنون بذلك لا ينكرون قوة ذلك المركز، ولا فعالية النفوذ اليهودي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، كما أنهم لا يجهلون أهمية الرؤية المبنية على الأسس الدينية، ومدى تأثيرها في ثقافة المجتمع على الخصوص.

ويتلاعب ناشطوا جماعات الضغط المحلية في عملهم ضمن قيود النظام، ويستخدمون الوسط الثقافي، أولا: لكشف الوصول إلى أولئك المسؤولين عن السياسة الخارجية في الشرق الوسط، وثانيا: للتأثير فيهم لتبني سياسات ملائمة لجداول أعمالهم المعينة، وكل من ناشطي جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل المحترفين متمركزين في واشنطن وجماعات المصالح عبر البلاد، ويسعى كل منهم للتأثير في السياسة الخارجية، وهي تمثل خليطا من جماعات إثنية ووجهات نظر سياسية تكون بوجه عام منظمات

طوعية من دون مقابل مادي، وبموجب قوانين الولايات المتحدة يُحدَّد ناشط جماعة ضغط بـ"الفرد" أو "المنظمة"، والذي تكون مهمته التأثير في تمرير تشريع أو هزيمته، وهو يتلقى فائدة لهذه الغاية.

وعلى عكس الأفكار الرائجة جدا فيما يتعلق بقوة ناشطي جماعات الضغط، فإن أعمال الإدارة الأمريكية تشير إلى أن البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية هي التي كانت تقرر الاستراتيجية للسياسة الخارجية، وتجاوزت الأمور هذا الحد إذ أن مجمل المسؤولين في الإدارة ساهموا في بناء نظام مؤيد لإسرائيل، وعملوا على ترسيخه في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للولايات المتحدة لدرجة أنه لم يعد ممكن تصور أي فشل يمنى به هذا النظام.

ولمعرفة جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل وخلفيات نفوذها، سيتم التطرق للظروف التاريخية لنشأتها وطبيعة عملها، ومن ثم سبب نفوذها وقدرتها على التأثير في السياسة الخارجية الأمريكية.

1-1. ظروف النشأة

إن الرجوع إلى التاريخ والتعمق في الخلفية الدينية المؤطرة للعلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل، هو وحده الذي يقدم تفسيرا مقنعا لتلك العلاقات، ومدى تأثيرها بالتالي في السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

وموقع إسرائيل في المنطقة العربية لا يكفي لتفسير التحيز الأمريكي، فقد كانت إسرائيل دائما مصدر حرج للنفوذ الأمريكي في المنطقة العربية، أكثر من كونها مصدر دعم، إضافة إلى أن بعض الأنظمة العربية أغنت الولايات المتحدة عن إسرائيل في هذا المضمار، أما الصوت اليهودي فليس موحدا بالطريقة التي يتخيلها البعض، بل فيه تعددا وتباينا واختلافا، كما أن التحيز لإسرائيل أعمق وأرسخ في بعض الولايات الأمريكية التي لا تكاد توجد بها جالية يهودية أصلا.

ويشكل اليهود في الولايات المتحدة نحو 3% من تعداد السكان ونسبتهم في مجلس الشيوخ 10%، إلا أن دورهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي يتجاوز عددهم بكثير.[1]

كما يشكل اليهود نسبة عالية جداً من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب،[2] ويُعتبرون من أهم الجماعات السياسة اليهودية المنظمة في الولايات المتحدة، والتي هي جوهر النشاط المؤيد للدولة العبرية في واشنطن، وقد أتاح لهم هذا المحافظة على المساعدات المالية والعسكرية لإسرائيل وتزايدها، ومجابهة أي إدارة أمريكية تحاول الضغط على إسرائيل، وأصبحوا يمثلون هيئة تشريعية مستقلة داخل الهيئة التشريعية الأمريكية، كما أنهم يشكلون أكثر من ربع عدد الكتّاب والمحررين ومقدمي البرامج في

النخبة الأوسع انتشاراً من وسائل الإعلام الأمريكية المرئية والمسموعة والمقروءة، بما فيها أقسام شبكات الأخبار، وفي أهم المجلات الإخبارية الأسبوعية والصحف اليومية الرئيسية، لقد افتخرت صحيفة جيروسالم بوست الإسرائيلية في إحدى أعدادها بأن ولاية مينوساتا الأمريكية يمثلها يهودي دائما في مجلس الشيوخ منذ عام 1978 رغم أن عدد اليهود بها لا يتجاوز 1%،[3] ويشكلون أيضاً نحو نصف متعهدي وسائل الترفيه والاتصالات والكمبيوتر الحديثة، ويهيمنون بشكل شبه مطلق على صناعة السينما الأمريكية في هوليوود، فغالبية الموظفين الكبار في الاستوديوهات الرئيسية منهم، ويشكلون أكثرية كتّاب السيناريو والمنتجين، مما يمنح يهود هوليوود قوة سياسية كبيرة، بالإضافة إلى قوتهم الإعلامية، لأنهم مصدر رئيس لتمويل المرشحين اليهود أو المؤيدين لهم.[4]

1-2. طبيعة عملها

على العكس من جماعات الضغط الأخرى، تمتعت المنظمات اليهودية الأمريكية بقنوات مباشرة مع البيت الأبيض، عن طريق مواطنين وسطاء محصنين، وهؤلاء الموظفون الذين يعينون في الغالب على أساس خبرتهم الشخصية والحرفية الوثيقة مع الجالية اليهودية، يرتبون اجتماعات مع الرئيس وغيره من المسؤولين، عن تشكيل السياسة الخارجية في المنطقة العربية، وهم ينقلون أيضا معلومات إلى المنظمات اليهودية الأمريكية، حتى تتمكن من تفصيل جهودها السياسية وحملاتها على قياس الاهتمامات المعينة للحكومة والبيت الأبيض.[5]

ورعت تشكيلة واسعة من الاتصالات مع أعضاء الكونغرس والمسؤولين الحكوميين على المستوى المحلي، على مدى سنوات عديدة، وحتى يقلل موظفو البيت الأبيض من المواجهات المحتملة وللسيطرة على جدول الأعمال، ينسقون بعناية اجتماعات مع مختلف الجماعات ليس فقط لتقرير جدول زمني، بل ليتقرر بالتحديد وقت حدوثها، وتكون الاجتماعات المتكررة والمدروسة مع المنظمات اليهودية الأمريكية بوجه عام في منتهى الود، ويأتي قادة اليهود الأمريكيون وهم على استعداد كامل ببرنامج متناسق للمطالب والتوصيات.[6]

وتعد لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC)[7] التي أنشأها في عام 1954 المجلس الصهيوني الأمريكي، من أقوى جماعات الضغط المحترفة الداعمة لإسرائيل، وكان لدى هذه اللجنة بحلول أواسط الثمانينات 75 ألف موظف، بميزانية سنوية تبلغ 5.7 مليون دولار.[8]

ويستخدم ناشطو جماعات المصالح تنوعا أو خليطا من تقنيات بسيطة نوعا ما لجذب الاهتمام والدعم لقضاياهم، ويمكن تلخيص هذه التقنيات بما يلي:

– حملات رسائل، تلفونات، وفاكسات موجهة إلى البيت الأبيض أو فروع أخرى للحكومة.

– اتصالات مباشرة وشخصية مع الرئيس، وكبار المسؤولين من أعضاء الكونغرس ومعاونيهم، بما في ذلك إقامة علاقات طويلة الأمد، وعلاقات مع صغار المسؤولين أو المعاونين، يتم تنميتها على مدى سنوات عديدة، تعطي في الغالب عندما يصبح البيروقراطيون أو السياسيون الشبان مسؤولون كبارا في مراكز رئيسية لصنع القرار.

– ممارسة المنظمات الوطنية وغيرها الضغط على البيت الأبيض والكونغرس، مستخدمة في الغالب التقنيات نفسها المفصلة أعلاه.

1–3. عوامل نفوذها وقدرتها على التأثير في السياسة الخارجية

إن السياسة الخارجية الأمريكية في العالم عموما، والمنطقة العربية خصوصا، ليست قضية سياسة خارجية فقط، بل هي قضية سياسة داخلية، فالرئيس والكونغرس يتجاوبون باتجاه الضغط الذي تمارسه الجماعات الداعمة لإسرائيل، وهو دور مؤثر جداً على الكونغرس ومجلس الشيوخ، بل ووجدت أساليب للتحكم حتى بالرئيس نفسه،[9] وذلك من خلال نشاطه في أروقة الكونغرس، متمثلا أساس في لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC)، لتوجيه السياسة الخارجية وفقا لما يخدم دولة إسرائيل أساسا.

وأخيرا يمكن لناشطي جماعات الضغط تثقيف صانعي السياسة وتزيدهم بمعلومات حول قضايا معينة، وأحيانا تقديم هذه المعلومات إلى الرأي العام، وقد يكون ناشط فريق الضغط تبعا لذلك واحدا من بضعة مصادر أو المصدر الوحيد للمعلومات حول قضية، وهذا وثيق الصلة بوجه خاص بالقضايا المتعلقة بالمنطقة العربية.[10]

وقد نجح اليمين المسيحي الأمريكي في عام 1995 بضغط من الجماعات المؤيد لإسرائيل في واشنطن بإقناع أعضاء الكونغرس لتشريع مجمل قوانين من تحت الستار لمكافحة الإرهاب، والتي تشمل قانون الأدلة السرية، حيث يشمل هذا القانون منح الصلاحية الخاصة لوزير العدل، لاعتبار أية منظمة ممن يشاء، وممن تشكل خطرا على إسرائيل بأنها إرهابية، وغيرها من القوانين والمراسيم خاصة تلك التي تلت أحداث 2001/9/11، وفي عام 1996، أعد دافيد وورسير وريتشارد بيرل، تقريراً سلماه

لبنيامين نتانياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك، وكان سرياً جداً، ودار حول هدفين رئيسيين يكرسان مصلحة إسرائيل كان أهمها إخضاع العراق، وقد احتوى نصائح ذات طبيعة استراتيجية وتشبه إلى حد بعيد دليل عمل، لما يمكن أن تكون عليه الحرب، بل واحتوى هذا التقرير على نصائح في ميدان التواصل ترمي إلى جلب تعاطف الأمريكيين وإثارة انتباههم أثناء زيارات بنيامين نتانياهو للولايات المتحدة، فمثلاً كان ينبغي على رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد أن يصيغ أهدافه السياسية بلغة مألوفة من قبل الأمريكيين، كما تم توجيه النصح له باقتراح تعاون عريض في ميدان معاهدات الدفاع المضاد للصواريخ لأن هذا قد يزيد من دعم الكونغرس لإسرائيل، لاسيما بين أولئك الذين لا يعرفون الكثير عن هذه البلاد لكنهم مهتمون جداً بمسألة الدفاع المضاد للصواريخ، وقد أضافت تلك الوثيقة في السياق نفسه بأن مثل هذه المواقف يمكن أن تساهم مستقبلاً في قرار نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وهذا موضوع يهتم به الكثيرون في الكونغرس حتى أولئك الذين لا يعرفون الكثير عن إسرائيل..[11]

2. علاقة شبكة الدعم المؤثرة في السياسة الخارجية الأمريكية

من الواضح أن العلاقة المتبادلة بين ناشطي هذه الجماعات والإدارة الأمريكية من الصعب قياسها، واللعب المتبادل بين الجانبين متماثل في الغالب، وكما يسعى هؤلاء الناشطون إلى التأثير في السياسة الخارجية فكذلك يستخدمهم السياسيون للدعاية وحشد التأييد الشعبي لسياساتهم المصممة سابقا.

ومن هذا المنطلق، فإنه من الضروري معرفة جزء من شبكة العلاقات التي تربط جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل بكل من الإدارة الأمريكية، على اعتبار أنها الواجهة التي يتم من خلالها ممارسة عملية التأثير السياسي الفعال، في القضايا التي تكون موضوع الخلاف في الرؤى بين عناصر الإدارة الأمريكية، وأحيانا بعض أطراف الشبكات غير الرسمية أو حتى الرسمية، إضافة إلى علاقتها بتيار المحافظين الجدد خصوصا، واليمين المسيحي عموما، والذي بات وجوده في هيئات صناعة القرار الأمريكي أمراً لا خلاف فيه، بل وحتى محل محاورات كبرى، كما حدث ذلك في قنوات إعلامية كبرى مثل (CBS)، التي لا تخفي توجهاتها الموالية لهذا التيار الموالي للمطالب الصادرة من جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل.

وكان أنتوني زيني، الجنرال المتقاعد والرئيس السابق للقيادة المركزية الأمريكية، قد اتهم إدارة الرئيس الأمريكي بوش (الابن)، بأنها شنت حربًا على العراق من أجل مساعدة إسرائيل، وأشار إلى أن "كبار المسؤولين المدنيين في البنتاغون، وبشكل خاص المحافظون الجدد الذين خطفوا السياسة الخارجية الأمريكية، ورأو في غزو العراق وسيلة لاستقرار الوضع في الشرق الأوسط ولمساعدة إسرائيل".[12]

ولمعرفة شبكة العلاقات المؤثرة في السياسة الخارجية الأمريكية، سيتم التطرق لعلاقة جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل بكل من الإدارة الأمريكية وبحركة المحافظين الجدد.

2-1. علاقتها بالإدارة الأمريكية

إن التغلغل المميز لجماعات الضغط الداعمة لإسرائيل بدأ يظهر بشكل علني فعلياً عندما وصل مناحيم بيغن إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية عام 1977، والذي كان يريد أن يعيق بأي ثمن مبادرات الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، الخاصة بإطلاق المفاوضات من أجل الاعتراف بحق الفلسطينيين بأن يكون لهم وطن، هكذا سعى حزب الليكود الإسرائيلي لتعزيز جبهة الأمريكيين الداعمين للخط اليميني الذي انتهجته الحكومة الإسرائيلية آنذاك، وهكذا أيضا تم حرمان جيمي كارتر من عدد من الناخبين، الأمر الذي كان أحد أسباب هزيمته في انتخابات عام 1980 ضد رونالد ريغن.[13]

كما ضمت الإدارة الأمريكية منظرين إيديولوجيين لم يلمسوا السلاح طيلة حياتهم، ولم يعرفوا أبدا الحرب، وإنما يتعاملون معها كمفهوم فكري يمتلك قوة جذب كبيرة، وهم في نفس الوقت الأكثر قوة ونفوذاً بين أولئك الذين يحيطون ببوش (الابن)، إن سلطتهم هائلة ولديهم القناعة الكاملة بأنهم يخدمون مصالح إسرائيل، ذلك أن الحرب التي يعلنونها باسم الولايات المتحدة إنما تخدم تماماً وجهات نظر نظرائهم من اليمين الإسرائيلي.[14]

إن الروابط القوية التي توحّد بين الطرفين وتشابه النظرة بينهما، ولدّ لديهم الاقتناع المطلق بأن المصالح الأمريكية والإسرائيلية هي مشتركة،[15] وبالتالي ينبغي على هاتين الديمقراطيتين التعاون في مواجهة المنطقة العربية والإسلامية التي احتلت مكان الخصم بدلاً من الاتحاد السوفييتي سابقا، وهو خصم ينبغي تحريره ولو بالقوة إذا اقتضى الأمر ذلك.

بالنظر للعلاقة الاستراتيجية الأمريكية-الإسرائيلية فقد اعتبرت إسرائيل نفسها كمن تلقى ضربات 2001/9/11، على اعتبار أنها حذرت منها، وكانت قد قدمت نصائح للولايات المتحدة في هذا

الشأن، فيما أسماه بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل السابق بسبعة خطوات للقضاء على "الإرهاب الإسلامي"، والمنابع التي يتغذى منها سواء أكانت دول أو منظمات أو أفراد مع ضرورة تبادل المعلومات حول الإسلاميين النشطين ومتابعتهم أينما وجدوا وعدم إطلاق سراحهم إذا سجنوا، ومنع تصدير التكنولوجيا النووية للدول "الإرهابية"، وفرض عقوبات ضدها وتجميد ثرواتها.. الخ، والأكثر من ذلك أن بنيامين نتنياهو أفرد فصلا عما أسماه الإرهاب الدولي في كتابه (مكان تحت الشمس)، إذ يقول فيه أنه قام شخصيا بإقناع الإدارة الأمريكية بإدراج ملف "الإرهاب الدولي" على رأس جدول أعمالها، وأنه تمكن بالفعل بمساعدة جماعات الضغط الداعمة له من إقناع بعض أعضاء الكونغرس والرئيس بهذه القضية.[16]

2-2. علاقتها بالمحافظين الجدد

ليس هناك شك في أن أعداد المسيحيين اليمينيين الذين يؤيدون إسرائيل هو رقم هائل جداً،[17] وهو ما يبين أن هناك شبكة من العلاقات لجماعات الضغط الداعمة لإسرائيل بمجموعات أخرى منها اليمين المسيحي التي يعتبر وزير العدل الأمريكي جون آشكروفت أحد أعضائه، وهو مسيحي يميني يرى بأن "إسرائيل قوية" ضرورة لخطة الرب في فلسطين، وبمقتضى هذه العقيدة فهو يعتقد أن على حكومة بلاده أن تجعل من إسرائيل قوية جداً عسكريا لحين يأتي "يوم الحساب"، وأي شيء يقل عن ذلك هو مخالفة لأمر الرب،[18] وعلى أساس هذه التأويلات الدينية، يؤيد عدد من النافذين في الإدارة الأمريكية (المحافظون الجدد) سياسة متحيزة دون تحفظ لإسرائيل.[19]

هذه العقيدة تلقفها كبار القادة اليهود في الولايات المتحدة وإسرائيل، وخاصة من اليمين المسيحي الذي يسيطر على مجريات ومقاليد اللعبة السياسية واستغلوها جيدًا للحصول على كافة أشكال الدعم والتأييد، وهم لا يعنيهم إيمان اليمين المسيحي في الولايات المتحدة بهم، بقدر ما يعنيهم ما يُدرّه عليهم الإيمان بهذه النبوءة من أموال ودعم سياسي واقتصادي غير محدود.

فبسببها تتدفق الرحلات السياحية الأمريكية على إسرائيل، وتنظم مظاهرات التأييد وحملات جمع التبرعات، وتسخر الإدارة والسياسة الأمريكية لخدمة مصالح دولة إسرائيل، خاصة مع تزايد إيمان الشعب الأمريكي بهذه النبوءة والاعتقاد بها، حتى أن استطلاعًا أجرته مجلة تايم الأمريكية سنة 1998، أكد أن 51% من الشعب الأمريكي يؤمن بهذه النبوءة، ومن هؤلاء عدد كبير من أعضاء النخبة الحاكمة، بعضهم وزراء وأعضاء في الكونغرس وحكّام ولايات، بل إن جورج بوش وجيمي كارتر

ورونالد ريغن كانوا من المؤمنين بهذه النبوءة، والأخير كان يتخذ معظم قراراته السياسية أثناء توليه الرئاسة الأمريكية على أساس النبوءات التوراتية.[20]

ولاحظ البروفسور برنارد رايش أن هذه ظاهرة بالغة الأهمية لأنها امتدت بشكل لا يصدق، وتترسخ في نفوس شعب قلما تجمعه بإسرائيل في نهاية الأمر عوامل مشتركة، وبذلك يذكر أن معظم اليهود الأمريكيين الذين يصوتون تقليديا للديمقراطيين، لا يؤيدون المثل العليا الاجتماعية لليمين المسيحي الذي يعارض الإجهاض ويتمسك بعقوبة الإعدام، لكن فيما يخص إسرائيل، فإن التوافق تام، مذكرا بأن جذور هذا التوافق راسخة في الولايات المتحدة.[21]

3. مكانة الترابط الوظيفي بين التيارات الداعمة لإسرائيل

تعود نشأة الاتجاه المحافظ الجديد المعروف باشتراكه في التراث اليهودي المسيحي إلى الستينات، ومع بداية القرن العشرين تعزز اليمين المسيحي في الولايات المتحدة، ولاسيما بعد إنشاء دولة إسرائيل عام 1948، ومع تخلي عدد من المفكرين عن توجههم التقدمي السابق، وذلك لبروز جملة من المسائل الخلافية نتيجة لجنوح التقدميين إلى نقد السياسة الخارجية للولايات المتحدة، ولاسيما في تأييدها غير المشروط لإسرائيل، وبهذا باتت شرائح اليمين المسيحي المعاصر تعد فعلياً مدافعة عن دولة إسرائيل، ويتضمن هذا الدعم معارضة كل من ينتقدها.

وقد تغلغل اليهود في الولايات المتحدة في مناهج وأساليب حياتها ومعتقداتها، حتى غدا العهد القديم المسمى بالتوراة أساس المعتقد للمسيحيين الإنجيليين، والمتخذ ذو صبغة عسكرية سياسية، أساسه تعاليم التوراة، وتأكدت العلاقة التي تربط بين اليمين الإسرائيلي ونظيره اليمين المسيحي في الولايات المتحدة على الرغم من التناقض العقائدي بينهما.

وفيما كان الخط المحافظ التقليدي يحتوي على قدر من الانطوائية، ويدعو إلى دور أمريكي دولي مقيّد بالضرورة الدفاعية، نشط المحافظون الجدد لتطوير صيغة سياسية تحبذ تفعيل هذا الدور، في إطار خطة تهدف إلى تحقيق الصالح الوطني في الداخل والخارج على حد سواء.

ولعل هذا ما يدفع إلى تبيان الجانب التأثيري التفاعلي بين التيارات الدينية التي باتت تمثل التراث المشترك داخل الإدارة الأمريكية، فيما يُعرف بالتراث اليهودي المسيحي المشترك، من جانبيه الديني ثم السياسي، وعلى هذين الأساسين يتم معرفة كيفية نشأة الارتباط الوظيفي بين التيارين المتمثلين في جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل، والتيار المحافظ المعروف بتيار المحافظين الجدد.

3-1. الجذور الدينية والسياسية للفكر اليهودي المسيحي

يرى البعض أن هنالك نوعان من اليهودية، نوع معروف باسم المسيحية، ونوع معروف باسم اليهودية،[22] والمقصود بهذا التقسيم أن المسيحية الحالية فرع من اليهودية، بخلاف الاعتقاد السائد بأن المسيحية منفصلة عن اليهودية في المصادر، لكن المصادر عند المسيحيين لا تقتصر على الإنجيل، بل تشمل التوراة، وهذا الذي يعنونه بتسمية العهد القديم أي التوراة، والعهد الجديد أي الإنجيل.

إن المسيحيين المعمدانيين يشكلون إحدى أقوى الجماعات المؤيدة لإسرائيل على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ من إيمانهم، ذلك أن الكتاب المقدس يتألف من عهد قديم وعهد جديد، والعهد القديم هو نفسه التوراة اليهودية، ولما كان العهد القديم ضعف العهد الجديد ثلاث مرات، فإن 75% من الكتاب المقدس مقتبسة من كتب اليهود، لذلك فإن إيمانهم بصحة العهد الجديد هو السبب في حبهم العميق للشعب اليهودي.[23]

وهناك مصادر تراثية تجد لها سنداً في مساحة الكتابات التاريخية المتخصصة التي تتناول نشأة الأديان والمذاهب بالدرجة الأولى، ثم دراستها في سياقها التاريخي من التركيز على أهم الفواعل التي ساهمت في نشر أفكار معينة كان لها التأثير العميق ليس فقط في محيطها الأكاديمي، بل والعملي الذي يمكن استقراؤه من خلال حالات معينة، كمجال السياسة الخارجية الأمريكية التي هي موضوع الطرح الحالي.[24]

لقد احتلت فكرة عودة المسيح إلى الأرض مكاناً رئيساً في أدبيات هذا المعتقد، وتقوم هذه الفكرة على أساس الاعتقاد بأن المسيح سيعود إلى الأرض ثانية، ليقيم مملكة الرب على الأرض، والتي ستدوم 1000 عام (العصر الألفي السعيد)، وكتمهيد لذلك يجب تحقيق 3 أمور:

1. إقامة دولة إسرائيل بحدودها التوراتية من الفرات إلى النيل، وتجميع اليهود فيها من كل بقاع الأرض انتظاراً لعودة المسيح.

2. تدمير المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه.

3. وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر، تسمى هرمجدون التي بشّرت بها التوراة.[25]

وبالرغم من معارضة كافة دول العالم لهذا النهج الأمريكي، باستثناء الدول الأنجلوسكونية البروتستانتية التي شكلت فيما بينها حلفاً دينياً أنجلوسكونياً من طراز جديد، محاولا تنصيب نفسه

لقيادة العالم، اعتقاداً منه بأنه ينفذ إرادة الله على الأرض، انطلاقاً من نبوءات توراتية أعطت اليهود ودولة إسرائيل دوراً مركزياً في تشكيل توجهات هذه الدول حيال العالم.[26]

3-2. ارتباطها بالتيار المحافظ

تعود نشأة التوجه المحافظ الجديد المعروف باشتراكه في التراث اليهودي المسيحي إلى الستينات، مع تخلي عدد من المفكرين عن توجههم التقدمي السابق، وذلك لبروز جملة من المسائل الخلافية نتيجة لجنوح التقدميين إلى نقد السياسة الخارجية للولايات المتحدة، ولاسيما في تأييدها غير المشروط لإسرائيل.

ورغم وجود يهود في الحزب الديمقراطي، نظرا لانقسام اليهود إلى ليبراليين ومتدينين، فإن الجماعات اليهودية بدأت في العقود الأخيرة تميل إلى الحزب الجمهوري، لأن ولاءه للمسألة اليهودية نابع من اعتقاد ديني ثابت، مجرد من الاعتبارات السياسية والاستراتيجية في الغالب، بخلاف الحزب الديمقراطي ذي الميول الليبرالية، الذي يتعامل مع إسرائيل باعتبارها دولة دنيوية إلى حد ما.[27]

وقد شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين تحولاً تدريجيا في صفوف المحافظين الأمريكيين باتجاه القبول بما يدعو إليه المحافظون الجدد، بل حتى قبل أحداث 2001/9/11، بات الخط المحافظ الجديد هو الذي يحدد فعلياً وعملياً التوجه السياسي للحزب الجمهوري وهو الحزب الذي يضم معظم المحافظين.

وعندما اكتمل اليمين الديني وأصبح قوياً خصوصاً بأكثريته الجمهورية في مجلسي الكونغرس، أخذ يتابع برنامجه الوطني بقوة متجددة ونجاح أكبر، وأخذ المحافظون الدينيون يسعون إلى توسيع مجال برنامجهم الدولي مستغلين وجود كونغرس أثبت أنه حازم تماماً في جهوده لصياغة سياسة خارجية فاعلة.[28]

والمُلاحظ أن رجال الدين الفاعلون في هذا التيار باتوا يمثلون القاعدة الانتخابية الأساسية للحزب الجمهوري، وهذه الخلفية وحدها جعلت بوش (الابن) يتبنى القراءة الإسرائيلية لغزو العراق تطبيقا لما سمي بـ"الاستراتيجية الإسرائيلية للعام 2000"، التي تم العمل لوضعها ضمن طرف فريق من المثقفين اليهود الأمريكيين برئاسة ريتشارد بيرل، دعوا فيها إلى الدفع إلى غزو العراق لتأمين التفوق العسكري لإسرائيل.

وأضحت الأسس التي نادو بها بدعم وتأييد من جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل السياسة المتبعة للإدارة الأمريكية، فالحرب المعلنة على ما يسمى "الإرهاب" قد شرّعت الإنفاق العسكري وأسكتت المعترضين وكرست القبول في مختلف أوساط المجتمع بدور قيادي عالمي ثابت للولايات المتحدة، والتضييق على الأنظمة المعادية يمارس ولو انتقائياً، وبلغ أوجّه، في الحالة العراقية، وكذلك تعزيز العلاقات مع الدول التي ترتئي الحكومة الأمريكية تصنيفها ديمقراطية، وتقع إسرائيل في موقع المستفيد الأول، أما دعم حركات التحرر الديمقراطية، ففي حين أنه يبقى مبهماً على مستوى السياسة الفعلية، فإنه يحظى بالتأييد المجهور به في أوساط المحافظين الجدد.[29]

4. خاتمة

- إن الرجوع إلى التاريخ والتعمق في الخلفية الدينية المؤطرة للعلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل، هو وحده الذي يقدم تفسيرا مقنعا لتلك العلاقات، ومدى تأثيرها بالتالي في السياسة الخارجية للولايات المتحدة.
- تعود نشأة الخط المحافظ الجديد المعروف باشتراكه في التراث اليهودي المسيحي إلى الستينات، مع تخلي عدد من المفكرين عن توجههم التقدمي السابق، وذلك لبروز جملة من المسائل الخلافية نتيجة لجنوح التقدميين إلى نقد السياسة الخارجية للولايات المتحدة، ولاسيما في تأييدها غير المشروط لإسرائيل.
- لقد أضحت الأسس التي نادى بها المحافظون الجدد بدعم وتأييد من جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل السياسة المتبعة للإدارة الأمريكية، عوامل ثابتة وليست متغيرة، خصوصا بعد أن نجحت في فرض نفسها منذ قيام دولة إسرائيل، كأداة ضغط قوية على السياسة الخارجية الأمريكية بشكل دائم ومستمر، رغم المتغيرات الدولية المتعددة منذ تلك الفترة.
- إن السياسة الأمريكية في المنطقة العربية هي في تناغم كامل مع سياسات اليمين الإسرائيلي، وما يمكن تأكيده هو أن الإدارة الأمريكية باتت ترى في رؤى جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل الوسيلة الوحيدة لاستقرار إسرائيل، وبالتالي للمنطقة كلها.
- رغم الانقسامات الداخلية، فإن هذه الجماعات تصل عادة إلى إجماع على قضايا تتعلق بإسرائيل، مما يمكنها من عرض صورة جبهة موحدة هدفها التأثير في السياسة الخارجية الأمريكية، وهذه المقاربة الموحدة تشكل رصيدا لا يقاس في جهود جماعات الضغط.

5. الهوامش:

[1] Halsell, Grace. (2001). Force Gods Hand. Lawrence Hill. Connecticut-usa., P35.
[2] Halsell, Grace. (1989). Prophecy and Politics: The Secret Alliance between Israel and the U-S Christian Right. Lawrence Hill. Connecticut-usa, P36.
[3] خالد حداد، (ربيع/ صيف 2002)، صُنع في الولايات المتحدة، القاهرة: الفكر السياسي، عدد (16)، ص23.
[4] Halsell, Grace. (2001). Force Gods Hand, Op.cit, P36.
[5] جانيس، تيري. (2004). دور جماعات الضغط في تشكيل سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. المستقبل العربي: المنطقة العربية في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 23/261، ص17.
[6] Sheffer, Gabriel. (1987). Dynamics of Dependence: U.S-Israel Relations. West view Press. U.S.A, P63.
[7] Halsell, Grace. (2001). Force Gods Hand, Op.cit, P36.
[8] جانيس تيري، مرجع سابق، ص16.
[9] منصور، أحمد. (2002/3/6). دور اللوبي الصهيوني في التأثير على القرار الأمريكي. الجزيرة نت. برنامج بلا حدود مع السيناتور الأمريكي بول فيندلي. نقلا عن موقع الجزيرة الالكتروني: www.aljazeera.net
[10] المرجع نفسه.
[11] Laurent, Eric. (2003). Le monde secret de Bush: la religion, les affaires, les réseaux occultes. Plon. Paris, P91.
[12] Klancy, Tom & Zini, Antoni. (2004). Battle Ready. American Edition. U.S.A, P63.
[13] الشنقيطي، محمد. (2002/5/10). ظهور حركة الصهيونية المسيحية لتعزيز موقف اليمين في الولايات المتحدة وإسرائيل. العصر. لندن.
[14] Ibid, P24.
[15] Laurent, Eric. (2003). Le monde secret de Bush: la religion, les affaires, les réseaux occultes. Op.cit, P68
[16] بوقارة، حسين. (2012). السياسة الخارجية: دراسة في عناصر التشخيص والاتجاهات لنظرية التحليل. دار هومة. الجزائر. ص35.
[17] منصور، أحمد، مرجع سابق.
[18] المرجع نفسه.
[19] Laurent, Eric. (2003). Le monde secret de Bush: la religion, les affaires, les réseaux occultes., P91.
[20] جانيس تيري، مرجع سابق، ص16.
[21] المرجع نفسه، ص23.

[22] الشنقيطي، محمد. (2003/10/8). المسيحية الصهيونية والسياسة الأمريكية: مشكلة المصادر: ج4. العصر. لندن.

[23] المرجع نفسه.

[24] مارتن، وِيليم. (1996). نشوء اليمين المسيحي في الولايات المتحدة. بدون مترجم. مطبوعات طريق الكتاب الخارجي. يدون بلد نشر. ط1، ص204.

[25] المرجع نفسه، ص203.

[26] Halsell, Grace. (2001). Force Gods Hand. Op.cit, P35.

[27] Ibid, P96.

[28] ويليم مارتن، مرجع سابق، ص168.

[29] منيمنة، حسن. (2003/1/26). المحافظون الجدد وتغيير العالم بأسره: المهمة الأمريكية الجديدة. الحياة. بيروت.